دلالة الأفعال الخمسة المعنوية في الفواصل القرآنية

The moral significance of the five acts in the Qura'nic Comas

سهيلة مساعد[1] / المشرف: سهام مادن

كلية العلوم الإسلامية الخروبة- جامعة الجزائر 1 ، s.messaad@univ-alger.dz

[2] كلية العلوم الإسلامية الخروبة- جامعة الجزائر 1

تاريخ الإرسال: 2021/04/19 تاريخ القبول:2022/01/09 تاريخ النشر: مارس/2022

الملخص:

للفواصل القرآنية مكانة هامّة في النّظم القرآنيّ شكلا ومضمونا؛ إذ تتّخذ من الآيات القرآنيّة من حيث الشكل موقع الختام ولتّذييل، فتعطي بذلك جمالا وحسنا وصوتا يوقع في الأسماع جرسا موسيقيّا جذّابا وفي النّفوس أثـرا قويّا، كما تتّخذ من الآيات من حيث المضمون موقع البيان والتّعـقيب فتتناسب مع ما سبقها من الكلام الرّبـانيّ تناسبا دقيقا وتتلاحم معه تلاحما يعزّز المعنى ويقوّي الدّلالة . وبهذا فإنّ الفواصل القرآنيّة تعتبر من الرّوابط الهامّة التي تنسج السّياق مبنىً ومعنىً وتسهم في إظهار جانب هام من الجوانب الإعجازيّة للقرآن الكريم؛ حيث تختم الفواصل القرآنيّة بالفعل المضارع المسند إلى واو الجماعة أو ألف الاثنين الذي يفيد التّجدد والاستمـــرار . وختام الفواصل القرآنية بالأفعال الخمسة يشعر بقوة هذه الأمثلة وقدرتها على تصوير حركة وحيويّة من أسندت إليه وبيان حالته غير المستقرة .

الكلمات المفتاحية: الفواصل القرآنية – الأفعال الخمسة – الدّلالة المعنوية .

Abstract:

Qur'anic commas have an important status in Qur'anic systems , in form and content. It takes from the Qur'anic verses in terms of form , the position of the end and the appendix, thus giving beauty, goodness and a sound which let an attractive musical rung for ears and a strong impact for souls , as well as taking from the verses in terms of content the position of the statement and the commentary, so it is in proportion to what preceded it of the divine speech. Subtle and closely linked with it that enhances the meaning and strengthens the connotation . This types of ponctuation are very important connectors , it plays a great role for the general understanding of the context of the miracles of the Holy Coran . Comas are linked to the verbs in present attached to plural or coupled indicators which might refer to continuity and progress. Moreover, finishing with the five verbs might let the reader feels the forcefulness of these exemples used and their ability to depict the movement and the activity of these actions .

Key words: The Comas connectors – The five verbs - The moral significance .

المؤلف المرسل: سهيلة مساعد, الإيميل المهني:s.messaad@univ-alger.dz

مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، أحمده وأثني عليه كما هو أهل له، وأصلّي وأسلّم على من عمّت بعثته كلّ العالمين محمّد عليه أزكى الصـّلاة والتّسليم وعلى آله وأصحابه أجمــعين، ومن تبعهم بإحــسان إلى يوم الدّين .

أمّا بعد ...

تعدّ الفواصل القرآنية وجها من وجوه الإعجاز القرآني الذي أبهر العرب وأعجزهم عن الإتيان بمثله ويتجلّى ذلك الإعجاز في جملة المزايا التي ألمّت بها الفواصل القرآنية؛ فللفواصل القرآنية ميزة واضحة وضوح الأثر الذي تتركه في الأسماع وهو ذلك الجرس الموسيقي الذي يبعث على الدّهشة والانجداب إليه. وفضلا عن الأثر الموسيقي فإنّ للفواصل القرآنية جاذبية عظيمة تظهر شحنتها في إتمامها لمعاني الآيات المرتبطة بها وبالتّالي فإنّ للفاصلة أثرا مزدوجا (مضمونا وشكلا) ، وتتجلّى هذه الثّنائية أكثر حين نجد أنّ الفاصلة القرآنية ترد بأشكال مختلفة تبعا لاعتبارات جمالية وبيانية تسهم في تجسيد المعنى.

ومن الأشكال التي ترد بها الفاصلة القرآنية انتهاءها بفعل من الأفعال الخمسة التي تثبت في كثير من المواضع – إن لم نقل كلّها – تجدّد الحدث وتغيّره واستمراره .

إنّ دراسة الفواصل القرآنية دراسة دلالية تخرجها من حيّز المقولة إنّها سيقت بالشّكل التي وردت به من أجل الجرس الموسيقي وتماثل أواخر الآيات فحسب، فلماذا اختلفت الفواصل القرآنية شكلا ؟ وماهي الــعلاقة التي تربطــها بما قبلها من نصّ الآيــة؟ ما هو ســرّ ورود الفاصــلة القرآنية بفــعل من الأفــعال الخمسة ؟

وانطلاقا من هذه الإشكالية يتمّ إجمال بعض الفرضيات فيما يلي :

- ورود الفاصلة القرآنية بالاستعمال الفعلي يدلّ على تجدّد الحدث وتغيّره .
- للأفعال الخمسة صبغة على المعنى في الفواصل القرآنية .
- انتهاء الفواصل القرآنية بالأفعال الخمسة له علاقة بمضمون الآيات المرتبطة بها .
- دلالة الفواصل القرآنية المنتهية بالأفعال الخمسة على استمرارية الأحداث الواردة في الآيات .

والهدف الرّئيس من هذا البحث بيان أسرار الفواصل القرآنية المنتهية بالأفعال الخمسة وعلاقتها بمضامين الآيات الواردة فيها .

وطبيعة الموضوع النّظري والتّطبيقي يفرض عليّ اتباع المنهج الوصفي التّحليلي لأنّه المناسب لدراسة الظّواهر اللغوية في النّص القرآني، وعليه قمت بتعريف الأفعال الخمسة وبيان حالات إعرابها وكذا تعريف الفواصل القرآنية وتعداد أنواعها وبيان فوائدها ثمّ بيّنت أسرار انتهاء بعض الفواصل

القرآنية بالأفعال الخمسة وعضدت ذلك بشواهد من القرآن معتمدة في ذلك على بعض التّفاسير وأقوال العلماء .

1. الأفعال الخمسة: تعريفها، إعرابها

1.1 . تعريف الأفعال الخمسة

الفعل هو كلّ لفظ دلّ على حدث في زمن معيّن، قال ابن الأنباري (ت 577 هـ): " حدّ الفعل كلّ لفـظة دلّت على معنى تحتها مقترن بزمان محصّل " [1]. وينقسم الفعل من حـيث حدوثه إلى ثلاثة أقسام:

– ماض وهو الفعل الذي يدلّ على حدث حصل في الزّمن الماضي، ومن خصائصه البناء إمّا على الفتح وهو الأصـل أو على السّكون إذا اتّصلت به ضمائر الرّفع أو على الضّم في حال اتّصاله بواو الجماعة .

– مضارع وهو الفعل الذي يدلّ على حدث في الزّمن الحاضر أو المستقبل، ويعرف بحروفه المضارعة المضافة إلى أول الفعل الماضي وبعلامة الرّفع وهي الضّمة.

– أمر وهو الفعل الذي يدلّ على طلب القيام بالحدث ومن خصائصه البناء على السّكون إذا كان صحيح الآخر أو على حذف حرف العـلّة إذا كان معـتلّ الآخر أو على حذف النّون إذا كان من الأفعال الخمسة .

فماهي الأفعال الخمسة ؟

الأفعال الخمسة هي كلّ فعل مضارع اتّصل به ألف الاثنين أو واو الجماعة أو ياء المخاطبـة، وهي تأتي على خمسة أوزان هي: يفعلان – تفعلان – يفعلون – تفعلون – تفعلين .

2.1 . إعراب الأفعال الخمسة

الأفعال الخمسة أفعال معربة أي ترد في حالاتها الإعرابية الثّلاثة من رفع ونصب وجزم .

– **حالة الرّفع:** علامة رفع الأفعال الخمسة ثبوت النّون إذا لم تسبقها أيّة أداة من أدوات النّصب أو الجزم مثال ذلك: هما يسمعان صوت البلبل، فـ" يسمعان": فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون لأنّه من الأفعال الخمسة، والألف ضمير متصل في محل رفع فاعل. ومن الذّكر الحكيم قوله تعالى: ﴿ **الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصّلاة و ممّا رزقناهم ينفقون** ﴾[البقرة: 2] وقوله: ﴿**كانا ياكلان الطّعام** ﴾[المائدة: 77] وقوله: ﴿ **أتعجبين من أمر الله** ﴾[هود: 72] فـ " **يومنون، يقيمون، ينفقون، يأكلان** و**تعجبين** أفعال مضارعة مرفوعة وعلامة رفعها ثبوت النّون لأنّها من الأفعال الخمسة، وكلّ ضمير من الضّمائر المتّصلة بها في محل رفع فاعل .

– **حالة النّصب:** علامة نصب الأفعال الخمسة حذف النّون إذا سبقت بإحدى أدوات النّصب ومثال ذلك: يجب **أن تقوموا** بواجباتكم . ومن التّنزيل قوله عزّ وجلّ:﴿ **لن تنالوا البر حتّى تنفقوا ممّا**

تحبّون﴾ [آل عمران: 92]. فالأفعال التي تحتها سطر مضارعة منصوبة وعلامة نصبها حذف النّون.

– **حالة الجزم:** وعلامة جزم الأفعال الخمسة حذف النّون إذا سبقت بإحدى أدوات الجزم، مثال ذلك: لم تعتني بأولادك . ومن كلام الجليل قوله: ﴿**ولا تقربا هذه الشّجرة فتكونا من الظّالمين**﴾[البقرة : 35] وقوله: ﴿ **قالت الاعراب ءامنّا قل لم تومنوا** ﴾ [الحجرات: 14] . فالفعلان " **لا تقربا** و**لم تومنوا** " مجزومة وعلامة جزمها حذف النّون .

ويجمل ما سبق ذكره قول الزّمخشري (ت 538 هـ) في المفصّل: " وهو [ويقصد الفعل المضارع]* إذا كان فاعله ضمير اثنين أو جماعة أو مخاطب مؤنّث لحقته معه في حال الرّفع نون مكسورة بعد الألف مفتوحة بعد أختيها [أي واو الجماعة أو ياء المخاطبة]* كقولك: هما يفعلان وأنتما تفعلان، وهم يفعلون وأنتم تفعلون، وأنت تفعلين . وجعل في حال النّصب كغير المتحرّك [أي في حال كونه من الأفعال الخمسة جعل نصبه كجزمه، وهو حذف النّون] * ، فقيل لن يفعلا ولن يفعلوا ، كما قيل لم يفعلا ولم يفعلوا " [2]

2 . الفواصل القرآنية: تعريفها، أنواعها، فوائدها

1.2 تعريف الفواصل القرآنية

الفاصلة في عرف اللّغويين مشتقّة من مادة " فصل " وهذه الأخيرة أصل تتفرّع منه عدّة استخدامات منها: " الفصل وهو الحاجز بين الشّيئين ... والفصل كلّ ملتقى عظمين من الجسد ... والفصل الحقّ من القول "[3] ومنه قوله تعالى: ﴿ **إنّه لقول فصل وما هو بالهزل** ﴾ [الطارق: 13، 14] .

وجاء في المقاييس: " الفاء والصّاد واللام كلمة صحيحة تدلّ على تمييز الشّيء عن الشّيء وإبانته عنه " [4] .

وممّا سبق فإنّ معاني هذه المادة تدور حول: الحجز والقطع والتّمييز والبيان؛ فإذا فصلنا شيئا عن آخر ميّزنا بينهما واتّضح أمرهما شكلا ومعنا .

أمّا الفاصلة في الاصطلاح فقد اختلفت تعريفاتها عند العلماء لا يسع المقام لذكرها كلّها وإنّما يمكن الاكتفاء ببعض منها .

– يرى أبو عمرو الدّاني (ت 444 هـ) أنّ: " الفاصلة كلمة آخر الجملة " [5] وهذا ما نقله الزّركشي (ت 794هـ) في برهانه وردّ عليه بقول الجعبري 6(ت 732 هـ) ما نصّه: " وهو خلاف المصطلح ولا دليل له في تمثيل سيبويه بـ ﴿ **يوم يأت** ﴾[7] و﴿ **ما كنّا نبغ** ﴾[8] وليسا رأس آي، لأنّ مراده الفواصل اللغوية لا الصّناعية " [9] ولكن ما وجدته من تعريف الدّاني (ت 444 هـ) للفاصلة في كتابه البيان في عدّ آي القرآن غير ما ذكره الزّركشي (ت 794هـ) ، فقد عرّفها بقوله: " وأمّا الفاصلة فهي الكلام التّام المنفصل ممّا بعده، والكلام التّام قد يكون رأس آية وكذلك الفواصل يكنّ رؤوس آي

وغيرها . فكلّ رأس آية فاصلة وليس كلّ فاصلة رأس آية ... " [10] ، ولم أجد للدّاني (ت 444 هـ) غير هذا التّعريف؛ لهذا يمكن القول إنّ الزّركشي (ت 794هـ) قد أجمل هذا التّعريف بقوله " الفاصلة كلمة آخر الجملة "؛ ورأى أنّ الداني (ت 444 هـ) أراد بتعريفه للفاصلة البعد اللّغوي لا الاصطلاحي؛ لأنّ الجملة في عرف اللّغة الكلام التّام .

– أمّا السـيّوطي (ت 911 هـ) فقد رأى أن يعـدّل في تعريف الدّانـي (ت 444 هـ) ويعـرّف
الفاصلة بأنّها " ... كلمة آخر الآية " [11] وبهذا يكون قد أخرج تعريف الدّاني (ت 444 هـ) من المنظور
اللّغوي إلى المنظور الاصطلاحي، إلاّ أنّ ما يمكن أن يعاب على هذا التّعريف هو أنّ بعض آيات الكتاب كلمة واحدة نحو : ﴿ **والضّحى** ﴾ [الضّحى : 1] و﴿ **طه** ﴾[طه : 1] فهما آياتان مستقلّتان ولا يمكن أن ينطبق عليهما تعريف السّيوطي (ت 911 هـ) .

– أمّا الزّركشي (ت 794 هـ) فقد شبّه الفاصلة بقافية الشّعر وقرينة السّجع؛ في قوله: " الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشّعر وقرينة السّجع " [12] وهذا التعريف محاولة منه لتقريب المعنى وتيسير المفهوم ولا يريد بذلك تنزيل الفاصلة منزلة الشّعر، ويستشفّ هذا من قوله: " ويمتنع استعمال القافية في كلام الله تعالى؛ لأنّ الشّرع لما سلب عنه اسم الشّعر وجب سلب القافية أيضا عنه لأنّها منه ، وخاصّة به في الاصطلاح ... ولا تطلق الفاصلة في الشّعر لأنّها صفة لكتاب الله، فلا تتعدّاه " [13]

– أمّا الرّماني (ت 386 هـ) والباقلاني (ت 404هـ) فقد عرّفا الفاصلة من منطلق صوتي ؛ فهي عندهما : " حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني " [14] ، ولفظ الباقلاني (ت 404 هـ) : " ... يقع بها إفهام المعاني ..." [15]

و يردّ على التّعريف السّابق إنّه لا ينطبق على العديد من الفواصل فقد تكون بعضها آيات مستقلّة بذاتها و بعضها قد يكون بعض الآية و بالتّالي لا يتحقّق إفهام المعاني .

– ويضيف الزّركشي (ت 794 هـ) توضيحا لتعريف الفاصلة إذ يقول: " قع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها ؛ وهي الطّريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام، وتسمّى فواصل؛ لأنّه ينفصل عندها الكلامان ؛ وذلك أنّ آخـر الآية فصل بينها وبين ما بعدها ولم يسمّوها أسجاعا " [16]

وممّا سبق نخلص إلى ما يلي :

– موقع الفاصلة عند الوقف والاستراحة في الخطاب .

– الفاصلة موضـع قطع بين الآية والتي تلـيها .

– للفاصلة مزية تزيـــين وتحـــسين الكلام .

– للفاصلة مزية تمييز القرآن عن سائر الكلام .

2.2 أنواع الفواصل القرآنية

يقول منّاع القطان (ت 1420هـ) في مباحثه : " والفواصل في القرآن الكريم أنواع: (أ) فمنها الفواصل المتماثلة ... (ب) ومنها الفواصل المتقاربة في الحروف ... (جـ) ومنها المتوازي ... (د) ومنها المتوازن ... " [17] .

ومنه فإنّ الفواصـــل تنقسم من حيث الوزن وعدد الـــحروف وحروف الرّوي وطول الجـــمل وقصرها إلى[18]:

- المطرّف: ويكون في الفواصل المختلفة في الوزن والمتّفقة في حروف الرّوي، مثاله قوله تعالى: ﴿**ما لكم لا ترجون لله وقارا و قد خلقكم أطوارا** ﴾ [نوح: 13، 14]
- المتوازي: ويكون عند اتّفاق الفواصل في الوزن وحروف الرّوي نحو قوله تعالى: ﴿ **فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة** ﴾[الغاشية : 13 ، 14] .
- المتوازن: ويكون عند اتّفاق الفواصل في الوزن دون حروف الرّوي، نحو قوله تعالى: ﴿ **ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة** ﴾[الغاشية: 15 ، 16] .
- متساوي القرائن: ويكون عندما تتساوى كلمات الفواصل في عدد الحروف وفي الوزن مثاله قوله تعالى: ﴿ **في سدر مخضود وطلح منضود وظلّ ممدود** ﴾[الواقعة: 28، 29، 30] .
- طويل القرينة الثّانية: وهو عندما تكون عدد كلمات الآية الثّانية بفاصلتها أطول من الأولى نحو قوله تعالى: ﴿ **والنّجم إذا هوى ما ضلّ صاحبكم وما غوى** ﴾[النجم: 1، 2] .
- طويل القرينة الثّالثة: وهو عندما تكون عدد كلمات الآية الثّالثة أطول من الأولى والثّانية مثاله قوله تعالى: ﴿ **خذوه فغلّوه ثمّ الجحيم صلّوه ثمّ في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه** ﴾ [الحاقة: 30، 31، 32] .
- المتماثل: ويكون عند تماثل كلمات القرائن في الوزن والعدد نحو قوله تعالى: ﴿**وءاتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصّراط المستقيم** ﴾ [الصافات: 117، 118].

3.2 . فوائد الفواصل القرآنية

القرآن الكريم كتاب محكم في آياته، متناسق في تراكيبه، معجز في كلّ جوانبه، فما من لفظ أو جملة أو تركيب إلاّ وله دور وفائدة أكيدة، يبرزه ذلك التّلاحم شكلا ومضمونا؛ فإذا نظرت لألفاظه وجدت ما تقوله عنها، وإذا تأمّلت تراكيبه أخذ القلم يسطّر على الورق ما لم ينطق به لسانك من قبل .

وإذا أردت أن تثبت لفواصـــل آياته شيئا فإنّ أوّل ما يحضر فكرك هو ذلك الوقع الموسيقي الذي يعطي للسّورة جرسا إيقاعيا واضـــحا ومؤثّرا، يقول الرّافعي (ت 624 هـ): " وما هذه الفواصل

التي تنتهي بها آيات القرآن إلاّ صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متّفقة مع آياتها في قرار الصّوت اتّفاقا عجيبا يلائم نوع الصّوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب" [19]

- الفاصلة تسهم في بيان المعاني وتوضيحها، وفي هذا الصّدد تقول بنت الشّاطئ (تـ 1419 هـ) عند تعقيبها على حذف المفعول به في قوله تعالى: ﴿ **ما ودّعك ربك و ما قلى** ﴾ [الضّحى: 3] : " فليس من المقبول عندنا أن يقوم البيان القرآني على اعتبار لفظي محض وإنّما الحذف لمقتضى معنوي بلاغي، يقوّيه الأداء اللفظي ، دون أن يكون الملحظ الشّكلي هو الأصل ."[20] ، وهذا ردّ على من رأى أنّ الفواصل قد جيء بها من أجل الجرس الموسيقي فحسب .

وتستنبط بنت الشّاطيء (1419 هـ) من هذا الحذف وجود لطف في الخطاب، حيث تقول: " تحاشي خطابه تعالى لحبيبه المصطفى في مقام الإيناس: ما قلاك . لما في القلي من الطّرد والإبعاد وشدّة البغض . أمّا التّوديع فلا شيء فيه من ذلك بل لعلّ الحسّ اللغوي فيه يؤذن بالفراق على كره، مع رجاء العودة و اللقاء " [21]

قال الزّركشي (تـ 794 هـ): " اعلم أنّ من المواضع التي يتأكّد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وؤأواخره، وإيقاع الشّيء فيها بما يشاكله . فلا بدّ أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولاً؛ وإلاّ خرج بعض الكلام عن بعض. وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك؛ لكن منه ما يظهر، ومنه ما يستخرج بالتّأمل للبيب " [22] ، ومنه فإنّ شكل الفاصلة القرآنية يتبع المعنى العام للآية، ويزيده وضوحا وبيانا .

- وإضافة إلى أنّ للفواصل جرسا موسيقيا فهي تسهم في بيان حسن القرآن وجماله. يقول القرطبي (تـ 671 هـ) في هذا الصّدد: " الفواصل حلية وزينة للكلام المنظوم، ولولاها لم يتبيّن المنظوم من المنثور. ولا خفاء أنّ الكلام المنظوم أحسن، فثبت بذلك أنّ الفواصل من محاسن الكلام المنظوم، فمن أظهر فواصله بالوقوف عليها فقد أبدى محاسنه، وترك الوقوف يخفي تلك المحاسن، ويشبه المنثور بالمنظوم، وذلك إخلال بحق المقروء ." [23] ومنه فإنّ الوقوف على فواصل الآي يزيدها حسنا وبهاء، ويزيد القارئ قدرة على تحسين الصّوت وتزيينه وإعطاء لكلّ حرف حقّه من حيث الصّفة والمخرج .

- الفواصل تساعد على معرفة عدد الآي التي يحصل به الأجر العظيم الذي رغّب فيه رسولنا الكريم ﷺ في قوله: { أيحبّ أحدكم إذا رجع إلى أهله وبيته أن يجد فيه ثلاث خَلِفات [24] عظام سمان ؟ قالوا: نعم، قال: فثلاث آيات يقرأ بهنّ أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان} (رواه مسلم)[25] .

3 . دلالة الأفعال الخمسة المعنوية في الفواصل القرآنية

1.3 . تعريف الدّلالة في اللغة والاصطلاح :

3 . 1 . 1 . الدّلالة في اللّغة:

أصل الدّلالة في اللغة من الجذر دلّ و" الدّال واللام أصلان أحدهما إبانة الشّيء بأمارة تتعلّمها والآخر اضطراب في الشّيء فالأول قولهم: دللت فلانا على الطّريق ... والأصل الآخر قولهم: تدلدل الشّيء، إذا اضطرب ... " [26]

وقد أرجع ابن فارس (ت 395 هـ) الدّلالة في كتابه الصّاحبي إلى ثلاث مرادفات " ... وهي المعنى والتّفسير والتّأويل، وهي وإن اختلفت فإنّ المقاصد بها متقاربة، فأمّا المعنى فهو القصد والمراد... وأمّا التّفسير فإنّه التّفصيل ... وأمّا التّأويل فآخر الأمر وعاقبته ... " [27]

3 . 1 . 2 . الدّلالة في الاصطلاح :

أمّا في الاصطلاح فإنّ الدّلالة هي المعنى الذي يعبّر عن لفظ ما سواء أكان ذلك المعنى قد وضع له اللفظ أصلا أو دلّ عليه ولم يوضع له ابتداء، ويقصد بهذا حقيقة الألفاظ و مجازها . والدّلالة بالمنظور المنطقي هي " ... أن يكون الشّيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشّيء الأوّل يسمّى دالّا والشّيء الآخر يسمّى مدلولا ... " [28]

فالدّلالة بهذا المفهوم هي العلاقة الموجودة بين الدّال والمدلول، أو بعبارة أخرى هي الصّورة الذّهنية التي تربط بينهما، وبمعنى أدقّ هي " وحدة تقوم على نسبة بين شيئين مرتبطين بعضهما ببعض ارتباطا لا انفصام فيه؛ الشّيء الأوّل: الدّال وهو الذي إذا علم بوجوده يستدعي انتقال الذّهن إلى وجود شيء آخر هو المدلول وهو الشّيء الثّاني " [29]

2.3. أقسام الدّلالة

لجأ علماء اللغة القدامى والمحدثين وكذا علماء الأصول إلى تقسيم الدّلالة من حيثيات مختلفة إلى عدّة أقسام، ولا يسع المقام هاهنا إلى تعدادها وتفصيلها لكن يمكن إجمالها فيما يلي:

- الدّلالة الصّوتية [30]: وهي الدّلالة المستمدة من طبيعة الأصوات .
- الدّلالة الصّرفية [31]: وهي الدّلالة المستفادة من أبنية الكلمات وصيغها .
- الدّلالة المعجمية أو الاجتماعية [32]: وهي الدّلالة المستوحاة من معاجم اللغة .
- الدّلالة النّحوية [33]: وهي الدّلالة المستمدة من نظام الجملة وهندستها .
- الدّلالة المعنوية: وهي الدّلالة التي تدرك بمجموع الدّلالات السّابقة والتحامها وبالاعتماد على ظروف الملابسات والسّياق, وهي السّبيل إلى الإبانة والإفهام, وبها يعقل عن الله عزّ وجلّ كتابه، فكلّ عنصر من العناصر التي تبني التّركيب ولنّص يؤدّي دورا بارزا في إظهار المعنى وتوضيحه.

3. .3دلالة الأفعال الخمسة المعنوية في الفواصل القرآنية .

بلغ عدد الفواصل التي انتهت بفعل من الأفعال الخمسة أكثر من ألف فاصلة . وقد وردت مادة " نفق " على صيغة " ينفقون " خمس مرات، ومادة " شعر " وردت على صيغة يشعرون أو تشعرون بالتّاء اثنين وعشرين مرة، بينما وردت مادة " عقل " على وزن يفعلون باليّاء والتّاء مثبتة أو منفية أربعين مرة، أمّا مادة " علم " وردت على صيغة يعلمون أو تعلمون مئة وعشرين مرة ومادة " عمل " وردت تسعة وثمانين مرة على صيغة يعملون أو تعملون. وهذا الاستعمال الفعلي الذي يقتضي التّجدد والتّغير والاستمرارية يشعر بإرادة القرآن جعل هذه الأمة أمّة حيّة ومتحرّكة تاركة للخمول .

انظر مثلا إلى قوله تعالى: ﴿ **وهو الذي جعل لكم النّجوم لتهتدوا بها في ظلمات البرّ والبحر قد فصّلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقرّ ومستودع قد فصّلنا الآيات لقوم يفقهون** ﴾ [الأنعام : 97 ، 98] ، يقول الطّبري في تفسير قوله تعالى:﴿**قد فصّلنا الآيات لقوم يعلمون** ﴾إنّ الله قد جعل للنّاس أدلّة ليتدبّرها أولوا العلم منهم فينيبوا من جهلهم ويفرّقوا بين الخطأ والصّواب [34]؛ لهذا نجد الآية الأولى قد ختمت بالفعل " يعلمون "، وتحصيل مضمون الآية يقتضي التّعلم، ولا يتحصّل العلم جملة واحدة بل يحدث شيئا فشيئا كي تتمكّن المعارف من الثّبات في فكر الإنسان وترتيبها ثمّ تخزينها بطريقة صحيحة تجعل العقل قادرا على استقبال معارف أخرى واسترجاعها وقت الحاجة، ومن ثمّ يصل المرء إلى مرحلة التّفقه وهي مرحلة تالية لمرحلة التّعلم ومصاحبة لمرحلة التّدبر والتّفكر التي تساعد على تصفية المعارف وفرزها؛ لهذا انتهت الآية الثّانية بفعل من الأفعال الخمسة " يفقهون " الذي يجعل الحدث متدرّجا ومتجدّدا ومتغيّرا؛ فنشأة الإنسان لم تحدث دفعة واحدة وإنّما كانت متدرّجة من خلق آدم عليه السّلام والذي عبّر عنه القرآن بعبارة " نفس واحدة " إلى غاية وجود هذا الخلق الكثير والمتنوّع والمختلف من النّاس، وهذا طبعا يحتاج إلى فهم الكثير من الأمور المتعلّقة بالخلق والحمل والولادة والعيش والموت، وهذه الأمور بدورها تتطلّب وقتا طويلا ومستمراً ومتجدّدا لتدبّرها وفهمها .

وفي قوله تعالى: ﴿ **وهو الذي مدّ الارض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثّمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي اللّيل النّهار إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون وفي الارض قطع متجاورات وجنّات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضّل بعضها على بعض في الاكل إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون** ﴾ [الرعد: 3، 4] .

فقد ختمت الآية الأولى بقوله " **يتفكّرون** " والتّفكر يحتاج إلى خطوات؛ بداية بالنّظر؛ فالله تعالى يقول: ﴿ **أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت** ﴾ [الغاشية: 17] ، ولم يقل أفلا يتفكّرون، ثمّ يلي النّظر التّأمل والتّدقيق وختاما بالتّفكر ولهذا استعمل القرآن الفعل الذي يقتضي التّغيّر والتّجدّد، فالتّفكر في آيات الله الكونية لا يتأتّى دفعة واحدة وإنّما يتحقّق إذا لزم العبد النّظر والتّدقيق في هذه

الصّور الحيّة ليصل بعد ذلك إلى التّفكّر والتّدبّر، وهذه المعاني تستنبط من انتخاب القرآن الفاصلة الفعلية دون الفاصلة الاسمية في هذا المجال .

وقوله تعالى: ﴿ **أ و لم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إنّ في ذلك لآيات افلا يسمعون أ و لم يروا انّا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون** ﴾ [السجدة: 26، 27] .

ختمت الآية الأولى بـ " **أفلا يسمعون** "، فأخبار الأمم والقرون الغابرة لا تثبت عند شخص واحد وإنّما تتداولها الألسن وتتناقلها الأسماع وتسجلّها الأقلام والقراطيس، فهذا تدرّج لوصول الأخبار من السّلف إلى الخلف. كما ختمت الآية الثّانية بـ " **أفلا يبصرون** " لأنّ الآيات التي كانت تظهر أمام أعينهم تحدث يوما بيوم وشيئا فشيئا؛ فهم يرون الماء ينزل من السّماء ثمّ يمكث في الأرض الجرداء لتتحوّل بعد ذلك زرعا مختلفا ألوانه متاعا للعباد والأنعام وهذا تغيّر وتدرّج في تحقّق نعم الله أمام أعينهم . ويعضد هذا قوله تعالى: ﴿ **فلينظر الانسان إلى طعامه إنّا صببنا الماء صبّا ثمّ شققنا الارض شقا فأنبتنا فيها حبّا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبّا متاعا لكم ولأنعامكم** ﴾[عبس:24، 32] ، يقول القرطبي (ت 671 هـ) في تفسير: ﴿ **فلينظر الانسان إلى طعامه** ﴾: " ... أي فلينظر كيف خلق الله طعامه وهذا النّظر نظر القلب بالفكر؛ أي ليتدبّر كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته وكيف هيّأ له أسباب المعاش ليستعدّ بها للمعاد " [35] . وتدبّر هذه الأشياء لا يحدث دفعة واحدة وإنّما يقتضي لذلك التّدرج في البحث والتّقصي الذي يلازمه التّغيّر والتّنقل من حال إلى حال ومن وقت إلى آخر، والله تعالى أعلى وأعلم .

تحليل النّتائج

تعطي الفاصلة القرآنية النّص القرآني ميزة خاصّة في الإعجاز اللغوي؛ فهي لا تقف عند المستوى الإيقاعي فحسب بل تتعدّى ذلك لتنسج خيوطها حول المستويات الأخرى: (المستوى النّحوي، المستوى البلاغي، المستوى المعنوي) ، وهذا ما يجعلها تعمل على اختيار وانتقاء أرقى الكلمات والعبارات التي تقوّي البنية التّركيبية وتضفي على النّص القرآني السّحر الجمالي والبلاغي، فندرك من خلال ذلك عظمة الكتاب الرّباني وأسراره غير المنتهية .

خاتمة

إنّ البحث عن أسرار القرآن اللغوية يأخذ من وقتك وجهدك القدر الكبير؛ بسبب سحر لغته وجاذبية معانيه؛ فكلّ كلمة تنقلك إلى أخرى وكلّ معنى يدعوك إلى آخر، وهذا ما يعرف عند كلّ من يتذوّق اللغة العربية بسحر البيان، الذي يزيدك رغبة في ولوج عالم كثير الأبواب؛ كلّ باب تفتحه تجد الشّيء العجاب الذي يسيل اللعاب، لن تشبع عند تناوله ولا يرتاح لك بال حتّى تصل إلى ما كنت تبحث عنه، وقد وصلت في نهاية هذا البحث إلى ما يلي:

– الفواصل القرآنية المنتهية بالأفعال الخمسة لم تركّب هكذا عبثا وإنّما لحكمة بالغة تجلّت في المعاني المستنبطة من ذلك التّركيب .

– لا يمكن بأيّ حال تغيير فاصلة بأخرى أو فاصلة بالاستعمال الفعلي بفاصلة بالاستعمال الاسمي ؛ لأنّ ذلك يخلّ بالمعاني، والقرآن ينتقي التّراكيب تبعا لمراد الله .

– الجرس الموسيقي للفواصل يزيد المعنى وضوحا .

– لا يمكن الوقف على ما قبل الفاصلة إذا كانت متعلّقة بما قبلها معنويّا؛ فضلا على أنّ الوقف على رؤوس الآي سنّة نبويّة أخذ بها الكثير من القراء 36، فإذا أراد القارئ أن يتوقف من أجل التّنفس وجب عليه اختيار مكان الوقف كي لا يختلّ معنى الآية، قال ابن الجزري (ت 833 هـ): " لمّا لم يمكن القارئ أن يقرأ السّورة أو القصة في نفس واحد ... وجب حينئذ اختيار وقف للتّنفس والاستراحة وتعيّن ارتضاء ابتداء بعده وتحتّم ألاّ يكون ذلك مما يحيل المعنى ولا يخلّ بالفهم؛ إذ بذلك يظهر الإعجاز ويحصل القصد؛ ولذلك حضّ الأئمّةُ على تعلّمه ومعرفته ... " [37]

توصيات البحث

– إنّ النّص القرآني بهذا الثّراء الدّلالي والفيض المعنويّ يحتاج مزيدا من الدّراسات التي تهتمّ ببنيته التّركيبية لكي تسع أحكامه وتعاليمه حياة النّاس وشؤونهم الخاصة والعامة.

الهوامش:

1- الأنباري (ت 577 هـ) ، أسرار العربية، تق/ محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان: 1418هـ / 1997م، ص 27 .

*ما بين المعقوفتين ليس من الأصل .

2- الزمخشري (ت 538 هـ) ، المفصل في علم العربية، تق/ فخر صالح قدارة، دار عمار، ط 1، عمان، الأردن: 2004/1425م، ص 244 وما بعدها .

3- الزبيدي (ت 1205 هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس، تق/ عبد الستار أحمد فراج، وزارة الإرشاد والأنباء، ط 2، الكويت: 1385هـ/ 1965 م، ج 30، ص 126 .

4- ابن فارس (ت 395 هـ) ، مقاييس اللغة، تق/ عبد السلام بن هارون، دار الجيل، ط 1، بيروت، لبنان : 1411هـ / 1991 م، ج 4 ، ص 505 .

5- الزركشي (ت 794 هـ) ، البرهان في علوم القرآن، تق / محمد أبي الفضل إبراهيم، ط / دار التراث، القاهرة، مصر: 1276هـ/ 1957 م، ج 1 ، ص 53 .

6- الجعبري: هو العلامة إبراهيم بن عمرو بن إبراهيم الجعبري الرابعي الخليلي الملقب ببرهان الدين، له التصانيف المتقنة في القراءات والحديث والعربية والأصول من ذلك شرح الشاطبية المسمى كنز المعاني الجمان، توفي سنة 732 هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ) ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (د ر س ط) ، ج 1، ص 50 .

7- سورة هود، الآية 105

8- سورة الكهف، الآية 64 .

9- الزركشي (ت 794 هـ) ، البرهان في علوم القرآن، المصدر نفسه، ص 53 .

10- الداني (ت 444 هـ) ، البيان في عدّ آي القرآن، تق / غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ط 1، 1414 هـ، 1994 م، ص 126 .

11-السيوطي (ت 911 هـ) الإتقان في علوم القرآن، تق / شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط 1، بيروت، لبنان: 1429 هـ / 2008 م، ص 609 .

12- الزركشي (ت 794 هـ) ، البرهان، المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

13- المصدر نفسه، ص 58 .

14-الرماني (ت 384 هـ) ، الخطابي (ت 388 هـ) ، الجرجاني (ت 816 هـ) ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تق / محمد خلف الله ومحـــمد زغلول سلام، دار المعارف، ط 3، مـصر: (د س ط) ، ص 96 .

15- الباقلاني (ت 403 هـ) ، إعجاز القرآن، تق/ أحمد صقر، دار المعارف، ط 3، القاهرة، مصر: 1971، ص 270 .

16-الزركشي (ت 794 هـ) ، البرهان، المصدر السابق، ص 54 .

17-القطان (ت 1420 هـ) ، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، ط 7، القاهرة، مصر: 1995 م، ص 146

18- ينظر الزركشي (ت 794 هـ) ، البرهان، المصدر نفسه، ص 72 .
19- الرافعي (ت 624 هـ) ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، ط 9، بيروت، لبنان: 1393 هـ / 1973 م، ص 216 .
20- عائشة بنت الشاطئ (ت 1419 هـ) ، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، ط 7، القاهرة ، مصر : (د س ط) ، ج 1، ص 35 .
21-المصدر نفسه، الصفحة نفسها .
22- الزركشي (ت 794 هـ) ، البرهان، المصدر نفسه، ص 78 .
23-القرطبي (ت 671 هـ) ، الجامع لأحكام القرآن، تق / عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ، ط 1، بيروت، لبنان: 1427 هـ / 2006 م، ج 2، ص 505 .
24- الخلفات ج خلفة، وهي الحوامل من النوق، ينظر ابن فارس (ت 395 هـ) ، مقاييس اللغة، المصدر السابق، ج 2، ص 213 .
25- الإمام أبو الحسن مسلم (ت 261 هـ) ، صحيح مسلم، عة / أبي قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، ط 1، الرياض: 1427 هـ / 2006 م، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، ج 1، ص 362، ر / الحديث: 802 .
26- ابن فارس (ت 395 هـ) ، مقاييس اللغة، المصدر نفسه، ج2 ، ص 259 .
27- ابن فارس (ت 395 هـ) ، الصاحبي في فقه اللغة، دار الكتب العلمية: ط 1، بيروت: 1418 هـ/ 1997 م، ص 93 .
28- التهانوي (ت 1158 هـ) ، كشاف مصطلحات الفنون، تق / علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، لبنان: 1996 م، ص 787 .
29- دلدار غفور حمد أمين، البحث الدلالي في المعجمات الفقهية المتخصصة، دار دجلة، ط 1 الأردن: 2014 م، ص 132 .
30-إبراهيم أنيس (ت 1397هـ) ، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 5، مصر: 1984 م، ص 46
31- المصدر نفسه، ص 47 .
32- إبراهيم أنيس (ت 1397هـ) ، دلالة الألفاظ، المصدر السابق، ص 48.
33- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
34- ينظر الطبري محمد أبو جعفر (ت 310 هـ) ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تق / عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط 1، القاهرة ، 1422 هـ، 2001 م، ج 9، ص 432 .
35- القرطبي (ت 671هـ) ، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ج 22، ص 82 .
36- ينظر السيد خضر، فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية، مكتبة الآداب، ط 2، القاهرة، 2009 م، ص 85 .
37- ابن الجزري (ت 833 هـ) ، النشر في القراءات العشر، مة / علي محمد الضباع، دار الكتب
38-العلمية،(د ر ط) ، بيروت، لبنان: (د س ط) ، ج 1، ص 224 .